جُرْعَةُ حُزْن

الناشِر

رئيس مَجْلِس الإدارة

أسامَة إبْراهيم

المدير التنفيذي

سَماح الجمال

إخْرَاج

حسَّان أحمد قَمْحيَّة

تَصْميم الغلاف

حسَّان أحمد قَمْحيَّة

لَوْحَة الغِلاف:

الرسَّامة مُنْتَهى سَلات

دار النُّخْبَة

33 شارع السِّنْترال – الحيّ الأوَّل

مدينة الشَّيخ زايد – الجيزة – مصر

تليفون: 00202 – 38511969

002- 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

الكتاب: دِيوَان جُرْعَة حُزْن

المؤلِّف: د. حسَّان أحمد قمحيَّة

عدد الصفحات: 88

الطَّبعَة الأولى

1439 هـ – 2018 م

جَميع الحُقُوق مَحْفوظة للمؤلِّف

رقم الإيداع بدار الكُتُب المصريَّة:

10201/2018

ISBN: 978- 977- 838- 143-6

جُرْعَةُ حُزْن

مَجْمُوعَة شِعْرِيَّة

د. حَسَّـان أَحْمَد قَمْحِيَّـة

النخبة
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلّف

مُقدِّمة

بِسْم اللَّه الرَّحْمن الرَّحيم

لا خَيْرَ في الشِّعْر، بَلْ لا خَيْرَ في الأَدَب، إِنْ لم يُحاكِ همومَ النَّاسِ وقَضايَاهم وآلامَهم وأَفْراحَهم؛ ويعبِّر عمَّا يَجول في خَواطِرهم، فيَكون مِرْآةً لكلِّ ذلك.

ولكنَّ هذا لا يَعْني أَبْدًا أن يَخْرجَ الأَديبُ أو الشَّاعر عن وِجْدانه الخاصّ، فلا يعبِّر عن هُمومِه وتَباريحه وأَلوَان الفَرَح والحُزن والأسى والألَم في حَياتِه الشخصيَّة الخاصَّة؛ فالشعرُ في رَأْيي هو هذا وذاك؛ فشطرٌ منه للنَّفْس وما يَعْتلج فيها، وشَطْرٌ آخر للآخَرين يَبُثُّ ما يَعانُونه، ويحاول أن يَصِلَ إليهم ليُخْرجَ منهم ما يُريدون قولَه بأسلوبٍ شائقٍ ماتِع، يَسْتقرُّ عَميقًا في نُفُوس مَنْ يَقْرأ ويَسْمع ويَتذوَّق ويَهْتمّ.

هـذه مهمَّةُ الأدب والشِّعر، وليس من مهمَّته – إِنْ صدقَ – أن يَسبحَ الشاعرُ أو الأديب في عالَمه الخاصِّ أو الذاتيّ، بَعِيدًا عمَّا يَدْور حَوْلَه من قَضَايا وشُؤُون تَشْغل الناسَ والمُجْتمَع؛ وإلا انتَفَتْ عنه صِفةُ الصِّدْق والإحْسَاس والانْفِعال والعاطِفة العامِرَة.

ومن هنا يَتَفاوتُ شَكْلُ هذا الشِعر وقوَّتُه وتأثيره وجمالُه، ما بين مباشرٍ وسَرْديَّ وخطابِي، ورَمْزيٍّ مَعْقول وعَميق ومحلِّق يَنْطَوي على عَصْفٍ لغويٍّ وانْزِياح. وليسَ هناك من شاعرٍ، وإن كانَ بارِعًا، إلاَّ اكتنفَ قصائدَه شيءٌ مِنْ ذاك وذاك، على مرِّ العُصُور. وكلَّما أَوْغلَ الشاعرُ في التَّصْوير، وارتقى بما يَنْظم إلى التَّجْديد في الصورة والمعاني والأَخيلة، بلغَ بشِعْره مبلغَ المُبْدِعين المُجدِّدين نَظْمًا وإِيقاعًا وإِتْقانًا؛ وها قِيَاسٌ واقِعيٌّ لتَصْنِيفه ومَوْضِعِه بين المُنْصِفين.

والله وليُّ التَّوْفيق.

د. حسَّان أحمد قَمْحية

الرِّيَاض، آذار/مارس 2018 م

وأَنْشَــبَ الشَّــيْب

أَبُثُ للنَّفْس هَمَّا ضَمَّ أَسْـرارِي عَنْ قادِمٍ حامِلٍ في الطيِّ أَخْبَـارِي

فَتُمْسِكُ النَّفْسُ آهاتِي وتَكْتُمُهـا في وَسْـطِ مُعْتَرَكٍ يَغْلِي على نَـارِ

أَسْـوارُهُ جَـلَدِي حِيـنًا وخاطِـرتِي مـا كُـلُّ خَاطِرةٍ تُفْشَـى لثَرْثارِ

مَضَى مَعَ العُمْرِ مَنْ قَدْ كانَ يَسْكُنُهُ لم يَبْقَ فـي القَلْبِ إلاَّ بَعْضُ أَخْيَارِ

وأَنْشَبَ الشَّـيْبُ في أَوْتـارِ قافِيَتِي فبَانَ مُنْتصِرًا فــي صَبْغِ أَشْـعَارِي

"ماذَا أَقـولُ لـهُ إِنْ جـاءَ" يَخْطِـفُني مِنْ قَبْضَةِ العَيْش نَحْوَ القادِمِ الضَّاري؟

تِلْكَ المَقادِيرُ كانَتْ بَعْضَ أَشْرِعَتِي واليَوْمَ نَمْضِي مَعًا فـي مَـوْجِ أَسْفَارِ

وأَنْتِ يـا غـادَةً فـي الرُّوحِ مَجْلِسُـها هَلْ تـاهَ مَرْكَبُنا فـي عَتْمَـةِ السَّاري؟

كَمْ لَحْظَـةٍ قَطَـرَتْ بالحُزْنِ أَدْمُعَها كـأَنَّها مَـطَـرٌ مِـنْ غَيْمِ آذارِ!

يـا مَـنْ إِلَيْهـا نَذَرْتُ العُمْرَ أَسْـكُبُهُ في مَرْجِ خافِقِها .. لا تَهْجُري دارِي

هُوَ الزَّمَـانُ طَـوَى بالأَمْسِ أَفْئِـدَةً لَنْ يُخْطِئَ الدَّهْرُ أَحْبَابِي وسُمَّـاري

قُـولـي إذا مـا دَهَى أَحْلامَ مَلْحَمَتي مَـوْتٌ يُفـاجِئُني مِـنْ غَـيْرِ إِنْـذارِ

قَـدْ كـانَ مُلْتَحِـفًا بالمَجْـدِ يَطْلُبُهُ واليَـوْمَ تَحْمِلُهُ أَشْـلاءُ أَحْجَـارِ

زَهْرَةٌ مَطْعُونَة

بَيْنَ الرِّمالِ تَفَتَّقَتْ عَنْ بُرْعُمٍ تَتَشَرَّبُ القَطْراتِ في قَفْرِ الهوَا

خَرَجَتْ تُساوِرُها رُؤًى في خَلْدِها أَنْ تَغْتَذِي مِنْ بَعْدِ عَيْشٍ في الطَّوَى

قالَتْ سيَسْـقِينِي لَذيذَ شَرابِهِ مَنْ كانَ يُغْرِينِي بأَنْوَاعِ الدَّوَا

أَنا وَرْدَةٌ لكنَّنِي ما زِلْتُ في رَحْمِ الرُّشَيْمِ كبِذْرَةٍ أو كالنَّوَى

ما إِنْ شَمَمْتُ شَذَا عَبيرِ مَياسِمي حتَّى صُفِعَتُ بطَعْنةٍ وَسْطَ الجَوَى

ماتَ الرَّبِيعُ بناظِرِي وتَيَتَّمَتْ أَزْهارُهُ وتَبَعْثَرَتُ سُحُبُ الهوَى

مِنْ كلِّ فَجٍّ جاءَ عَصْفٌ غادِرٌ وتَجَمَّعَتْ في ساحَتِي كُلُّ القِوَى

مُزِّقْتُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وتَدَفَّقَتْ أَحْلامُ عُمْري أَدْمُعًا تَبْكِي النَّوَى

داسَتْ صَفاءَ مَحبَّتِي ونَقاوَتِي سُودُ الخُطَى وَسَوادُها غَيْظًا عَوَى

كَمْ نَخْلةٍ وُعِدَتْ بلَثْمِ مَحاسِنِي فتَبَدَّدَ الوَعْدُ الذي فِيها انْطَوَى

قَدْ كُنْتُ خَبَّأْتُ الرَّحِيقَ لمِثْلِها لكِنْ خَبا عِطْري عَلَى عُمْرٍ ذَوَى

هَلْ كانَ في قَصْدِ الخُرُوجِ نِهايَتِي؟ ما زالَ غُصْنِي حائِرًا حَيْثُ اسْتَوَى

نَارُ مَوَاجِعِي

حَجَبَ الصَّقِيعُ عَنِ العُيُونِ مَدَامِعِي لكِنْ بَكَى قَلْبِي، فقَضَّ مَضَاجِعِي

واغْرَوْرَقَتْ نَزْفًا نِيَاطُ شَغَافِهِ وتَدَثَّرَتْ بالصَّمْتِ نارُ مَوَاجِعِي

تَشْكُو النُّفُوسُ إلى الإلهِ هُمُومَها بالبَوْحِ حِينًا أَوْ بدَمْعَةِ جَازِعِ

لابُدَّ لِلَيْلِ المُقِيمِ بغَفْوةٍ مِنْ صَحْوةٍ نَحْوَ الصَّباحِ الطَّالِعِ

فالشَّمْسُ ناطِرةٌ وَرَاءَ بُزُوغِها كَيْ تَرْتَقِي طَيْفَ الشُّعاعِ السَّاطِعِ

وبَرَاعِمُ الأَزْهَارِ تَرْقُبُ فَتْقَها مِنْ كلِّ لَوْنٍ عُتِّقَتْ للجَامِعِ

والطَّيْرُ أَخْفَى في الظَّلامِ نَشِيدَهُ كَيْ يُطْرِبَ الفَجْرَ الشَّجِيَّ لسَامِعِ

ورِيَاضُ حُسْنٍ زُيِّنَتْ بِعَباءَةٍ خَضْراءَ تُشْرِقُ في البِسَاطِ الشَّاسِعِ

والمَاءُ يَبْسُمُ للغَديرِ بصَوْتِهِ يَشْتاقُ رَيًّا للهَجِيرِ السَّافِعِ

مَعْزوفَةٌ لُغَةُ الوُجُودِ إذا ارْتَدَتْ أَثْوَابَ نُورٍ بَعْدَ لَيْلٍ هَاجِعِ

للقَلْبِ اِنْتِمَاء[1]

هَــوَى قَلْــبِي وللقَلْــبِ اِنْتِمَــاءُ لِمَــنْ يَهْــوَى ولَــوْ عَــزَّ اللِّقَــاءُ

تَطـوفُ علـى تَرانِيمِـي فأَشْـدُو فِلَسْــطينٌ .. ويُــدْرِكُنِي العَنَــاءُ

تَنــاءَتْ فــي تَبــاريحِ اللَّيــالِي وقَــدْ كانَــتْ يُغازِلُهــا الضِّــيَاءُ

صَــنَعْتُ لَهــا بقــافِيَتِي نَشِــيدًا وهَـلْ يَشْـفِي مِـنَ البُعْـدِ الحُـدَاءُ؟

وكَــمْ عانَقْتُهــا حُبًّــا بــنَظْمٍ يَسِــيرُ بِــهِ إلى القُــدْسِ الهَــوَاءُ

وكَــمْ عَطَّــرْتُ بالأَسْمــاءِ شِــعْرِي فَصـارَ الشِّـعْرُ يَكْتُـبُ مـا أَشـاءُ

تَخَـيَّرْتُ الوِصَـالَ بنَـبْضِ حَرْفِـي فلَيْسَ يَجُـوزُ فـي الحُـبِّ الجَفَـاءُ؟

يُســائِلُنِي فُــؤَادي عَــنْ هَوَاهــا وعَــنْ طُهْــرٍ تَجُــودُ بِــهِ السَّــماءُ

---

[1] وردَتْ هذه القَصيدَةُ في كِتاب "لَنْ تَسْكتَ المَآذِن"؛ وهو كِتابٌ ضَمَّ عَشراتِ القَصَائد لعَددٍ من الشُّعَراء عن فَلَسْطين، من إِعْداد وتَقْديم الدكتُور جَوَاد أبو هليّل.

وعَــنْ وَطَــنٍ تُطــارِدُهُ الأَمانــي لَــهُ فــي كُــلِّ خافِقَــةٍ شِــفَاءُ

فأُغْضِــي ثُمَّ أُغْضِــي ثُمَّ أُغْضِــي ودَمْـعُ القَلْـبِ فـي عَيْـنِي دِمَـاءُ

ومـا تُجْـدِي دُمُـوعي غَـيْرَ أَنِّـي أَلُــوذُ بِهــا ويَخْــذُلنِي الإِباءُ

عَـروسٌ فـي بِـلاد الأَرْضِ جَمْعًـا ولَـيْسَ يَليـقُ بالعِـرْسِ البُكـاءُ

بَهــاءُ القُــدْسِ مِقْيَــاسٌ لحُسْــنٍ إذا ذُكِـرَتْ مَـعَ القُـدْسِ النِّسَـاءُ

قَضَـيْتُ العُمْـرَ يَحْـدُونِي رَجـاءٌ أَأَلْقَاهــا وَقَــدْ طــالَ الرَّجــاءُ؟

سـتَبْقَى فِي جَـديبِ الأَرْضِ غَيْثًـا ويَبْقَــى فــِي مَعارِجِهــا النِّــداءُ

وَيَرْحَــلُ عَــنْ مَرابِعهــا يَهُــودٌ كَمـا فِي الحَـرْبِ يَهْـرُبُ أَدْعِيَـاءُ

أُمِّي أَغْلى النِّسَاء

أَفْنَيْـتِ عُمْـرَكِ تَـرْقُبِينَ تَلَهُّفِـي مُتَمنِّيًـا مـا تَـرْقُبِينَ ولَمْ أَفِ

يا نَهْـرَكِ الصَّـافِي عَشِـقْتُ ضِـفَافَهُ حَـتَّى أَرَانِي نَاهِـلًا لا أَكْتَفِـي

يُنْبُـوعُ حُـبٍّ لا يُـرَامُ نَظِـيرُهُ مُتَـوَاصِلٌ بَـذْلًا ولَـمْ يَتَوقَّـفِ

لَـوْ كـانَ للحُـبِّ النَّقِـيِّ مَتـاحِفٌ مـا كُنْـتِ إلَّا دُرَّةً فِي مَتْحَـفِ

هـذا أَنِـينُ القَلْـبِ يَعْـزِفُ لَحْنَـهُ فـي حَفْلـةٍ مـن حُزْنِـهِ لم يَكْتَـفِ

إنَّ البِعَـادَ مَرِيـرةٌ لَحظَاتُـهُ مـا بَالُـهُ فـي حُكْمِـهِ لم يُنْصِـفِ

والشَّـوْقُ مُضْـطرِمٌ يُـؤجِّجُ نَارَهُ طَيْـفٌ أَتانِي مِـنْ تَـذَكُّرِ مَوْقِـفِ

يَــوْمُ الــوَدَاعِ بُكَــاؤُهُ لا يَنْجَلِــي لكأَنَّــهُ أَلِــفَ البَقــاءَ بِمِعْطَفِــي

ســأَظَلُّ أَرْنُــو للقِــاءِ وأُنْسِــهِ مِثْــلَ اِنْتِظــارِ مُتَيَّــمٍ لَــمْ يَشْــتَفِ

قَـدْ أَبْصَـرَتْ عَيْنَـاي فِي يَـوْمِ اللِّقَـا ذَا شَـوْقُ يَعْقُـوبٍ لصُـورَةِ يُوسُـفِ

في جُعْبَةِ الأيَّام

تَلُـــوحُ بَـــوَادِرٌ أَوْ لا تَلُـــوحُ ويَنْطِـــقُ صَـــامِتٌ أَوْ لا يَبُـــوحُ

فـــإنَّ الخِـــزْيَ بادٍ في ضَـــجِيجٍ يُجَمِّلُـــهُ ويُخْفِيـــهِ المَـــدِيحُ

وفي الأَيَّامِ تِبْيـــــانٌ لخَطْـــــبٍ فـــأَمْرُ السُّـــوءِ مَنْبِتُـــهُ قَبِـــيحُ

وخَلْـفَ السِّـتْرِ أَحْـداثٌ جِسَـامٌ تَكـــادُ لَهَوْلهـــا تَهْـــوِي الصُّـــرُوحُ

ســـتَزْوِي فِي مَسَـــارِحِها بِـــلادٌ وتَبْكِـــي مِـــنْ مَآسِـــيها الجُـــرُوحُ

وتَقْضِـــي في عَواقِبهـــا نُفُـــوسٌ وتَشْـــقَى بَعْـــدَ هامَتِهـــا السُّـــفوحُ

لَـــئِنْ أَمْسَـــتْ يُـــدارِيها بُغـــاةٌ ســـتَخْرُجُ مِـــنْ مَكامِنِهـــا القُـــرُوحُ

ومَـــا يَخْفَـــى عَلَـــى حُـــرٍّ سَـــعيرٌ يُؤَجِّجُـــهُ علـــى الأَرْضِ الجُمُـــوحُ

أَنَنْسَـــى حَجْـــمَ إِجـــرْامِ اللَّيَـــالِي ونُخْفِـــي مـــا يُظَهِّـــرُهُ الوُضُـــوحُ؟

أَنَنْسَى نائِباتٍ كَمْ أَطَلَّتْ على أَعْتابِها مَوْتٌ صَريحُ؟

سيَقْضِي اللهُ في أَمْرٍ ويَأْتِي بُعَيْدَ مَرارةٍ عَيْشٌ مُرِيحُ

هِيَ الدُّنْيا شُرُوقٌ بَعْدَ لَيْلٍ ويَوْم العَدْلِ أَنْوَارٌ ورُوحُ

فإِنْ ضاقَتْ بأَحْرارٍ حَياةٌ فعِنْدَ اللهِ مَنْزِلُهُمْ فَسِيحُ

في مَتاهاتِ الحُرُوب

هَـــلْ كانَـــتِ الأَشْـــجَارُ تَمْشِـــي قَبْلَنـــا
وتُعـــايِنُ الآلامَ فـــي حُـــزْنِ الـــدُّرُوبْ؟
وتَحـــارُ فـــي رَأْبِ الجِـــراحِ وتَشْـــتكِي
مِـــنْ كَثْـــرةِ الآهـــاتِ تَفْتِـــكُ بالقُلُـــوبْ؟
حـــتَّى إذا مَلَّـــتْ وفـــاضَ أَنِينُهـــا
قالَـــتْ: سَـــأَرْكَنُ للوُقُـــوفِ فَـــلا أَجُـــوبْ
قَـــدْ أَحْسَـــنَتْ فِي بُعْـــدِها عَـــنْ مَسْـــلكٍ
جَـــرَّ المآسِـــي فـــي مَتاهـــاتِ الحُـــرُوبْ
فمَـــتَى يكـــفُّ البَغْـــيُ عَـــن نَزعاتِـــهِ
ويُعِـــيرُ أُذْنًا للسَّـــلامِ وللشُّـــعُوبْ؟

رَأَيْتُ في حُلْمِي

حَلَمْتُ، فما رَأَيْتُ سِوَى بِلادي مُضَرَّجَةً بِذرَّاتِ الرَّمَادِ

رَأَيْتُ بُكاءَ أَطْفَالٍ يَتَامى وآهَاتٍ على كَفِّ السَّوَادِ

رَأَيْتُ المُرَّ في عَيْنِ الثَّكالى وأَثْوَابَ الفَجِيعَةِ والحِدادِ

رَأَيْتُ القَهْرَ يَنْبتُ في رِجالٍ ويَعْصُفُ بالكَرامةِ والرَّشادِ

رَأَيْتُ تَخاذُلًا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وقَدْ نَاءَ الجَوَابُ عَنْ المُنَادِي

رَأَيْتُ العَدْلَ مَطْرودًا ببَابٍ ودونَ طَرِيقِه شَوْكُ الأَعْادِي

رَأَيْتُ الظُّلْمَ في الإِنْسَان أَصْلًا يُناصِرُه الشُّيُوخُ بِلا اتِّئادِ

تُشَادُ لهُ مَجالِسُ عامِراتٌ وفي عَرَصَاتِها أَصْلُ الفَسَادِ

رَأَيْتُ الحُزْنَ يَنْخرُ كُلَّ حُرٍّ ويَجْثُو فَوْقَ أَحْلامِ الرُّقَادِ

رَأَيْـتُ العَبْـدَ مَشْــمولًا بقُـرْبٍ ويَحْظَــى بالمَنـاصِــبِ والــوِدادِ

عَجِيــبٌ أَمْــرُ دُنْيانــا فإنّــي رَأَيْـتُ نَعيمَهــا أَخْطَــا بِــلادي

حَمَلْـتُ هُمُومَهـا في رَحْـلِ بُعْـدي فَصَــارَ نَحيبُهَــا مَــاءً لــزادِي

جَذْوَةُ آلام

صَـــوْتٌ يَطْـــرُقُ بَابَ سُكُونِـــي يَطْـــرُقُ يَطْـــرُقُ كالمَجْنُـــونِ

يَسْـــأَلُنِي عَـــنْ سِـــرِّ ذُهُولِـــي عَـــنْ مَسْـــحَةِ حُـــزْنٍ وشُـــجُونِ

عَـــنْ أَلَـــمٍ يَعْصِرُنـــِي عَصْـــرًا فيُعَكِّـــرُ صَـــفْوِي ويَقِيـــنِي

مـــا عِنْـــدِي مِـــنْ رَدٍّ يَشْـــفِي فالصَّـــمْتُ دِثَارِي وسَـــفِينِي

مِـــنْ حَـــوْلِي أَنَّاتٌ حَـــرَّى ودُمُـــوعٌ فـــي نارِ أَتُـــونِ

صَـــرَخاتٌ لم تَـــتْرُكْ لَـــيْلًا مِـــن غَـــيْرِ بُكَـــاءٍ وأَنِـــينِ

وعَويـــلٌ أَشْـــبَعنِي حُـــزْنًا مـــا عـــادَ الشِّـــعْرُ يُعَـــزِّينِي

فـــي قَلْـــبِي جَـــذْوَةُ آلامٍ ولَظاهَـــا أَمْسَـــى بعيُونـــِي

كـــالرُّمْحِ تُطَـــاعِنُ أَحْلامِـــي قَـــدْ تَجِـــدُ طَرِيقًـــا لـــوَتِينِي

عَباءَةُ الأَحْزَان

مِنْ مَنْهَلِ الوَجَعِ المُقِيمِ بِمُهْجَتِي وعَباءَةِ الأَحْزَانِ تُثْقِلُ غُرْبَتِي

نَفَرَتْ مِنَ العَيْنَيْنِ عَبْرَةُ مَانِعٍ أَفْشَتْ دَوَاخِلَ لَوْعَتِي وسَرِيرَتِي

كَمْ مَرَّةٍ لَمْلَمْتُ نَزْوَةَ خافِقِي وسَكَبْتُ في سِتْرِ اللَّيَالِي دَمْعَتِي!

أَحْبَبْتُها تِلْكَ اللَّيَالِي مُرْغَمًا تِلْكَ اللَّيَالِي فِي الأَنَامِ نَدِيمَتِي

أَغْرَقْتُها مِنْ كُلِّ بَوْحٍ مُحْزِنٍ فتَقبَّلَتْ بَوْحِي ونَزْفَ قَصِيدتِي

وزَرَعْتُ فِيهَا مِنْ لَوَاعِجِ قِصَّتِي حَتَّى غَدَتْ تَرْوِي فُصُولَ المِحْنَةِ

لَمْ تُخْزِنِي يَوْمًا برَغْمِ فَجَاجَتِي وتَحَمَّلَتْ منّي نَجِيجَ الفِكْرَةِ

هَلْ في الرِّفاقِ مُؤَانِسٌ طُولَ المَدَى آوِي إلَيْهِ مِنْ فَحِيحِ الزَّفْرَةِ؟

يَحْنُو عَلَيَّ إذَا نَبا سَهْمي غَدًا ويَصُونُ يَوْمِي مِنْ سِيَاطِ العَثْرَةِ

غادَرْتُهَا والقَلْبُ يُفْرِغُ نَبْضَهُ وتَرَكْتُها، لكِنْ لأَجْلِ العَوْدَةِ

قَدْ صَارَ طَيْفُ صَفائِها مُتَوَارِيًا نامَتْ على حِضْنِ الغِيَابِ أَنيسَتِي

وأَتَى الصَّبَاحُ مُبَاهِيًا بضِيَائِهِ فأَخَذْتُ أَنْشُرُ للصَّبَاحِ صَحِيفَتِي

لكِنَّه والشَّمْسُ تُسْرِعُ خَطْوَهُ لَمْ يَلْتَفِتْ ومَضَى مُضِيَّ الفَرَّةِ

قَدْ بَانَ لِي فَرْقُ النَّهارِ ولَيْلِهِ شَتَّانَ بَيْنَ مُوَاكِبٍ ومُفَلِّتِ

دَمْعِي قَصِيدَة

عِيلَ اصْطِباري وَضَجَّ الوَعْدُ يا وَطَنِي النَّفْسُ تَسْأَلُنِي عَنْ قادِمِ الزَّمَنِ

عَنْ قِصَّةٍ في ظِلالِ الرُّوحِ مَسْكَنُها عَنْ أُمَّةٍ تَعِبَتْ في رِبْقَةِ المِحَنِ

مـاذَا أُجِيـبُ وعَـتْمُ اللَّيْـلِ يَخْنُقـنِي والحَقُّ أَمْسَى حَبِيسَ الصَّمْتِ والوَهَنِ؟

تُخَـــالِجُ الصَّـــدْرَ أَنَّاتٌ مُحَرِّقَـــةٌ ويَخْدُشُ الصَّفْوَ أَثْقَالٌ مِنَ الشَّجَنِ

هَذا صَدِيقٌ عَنِ الإِفْصَاحِ يَنْهَرُنِي وتِلْكَ أُخْتٌ تُنادِينِي مِنَ الكَفَنِ

وفي الحَنَايَا عَوِيلٌ لا يُفارِقُنِي نَشْجُ الأُمُومَةِ أَدْمَى زَفْرَةَ البَدَنِ

عَيْنُ الحَرَائِرِ ماتَ الأُفْقُ في غَدِها مِنْ حُرْقَةِ الضَّيْمِ في أَصْفَادِ مُرْتَهَنِ

أَيْنَ العُرُوبَةُ؟ قُلْتُ: الذُّلُّ أَسْكَتَها أَيْنَ الحَمِيَّةُ؟ قالُوا: في هَوَى الوَسَنِ

بَراعِمُ الضَّوْءِ ما زالَتْ مُكَمَّمَةً وفي الدُّرُوبِ عَمِيلٌ حَجَّ للوَثَنِ

هَذِي الخِيانَةُ مَشْروبٌ نُعاقِرُهُ بِعْنا بِهَا غالِيَاتِ الأَرْضِ والمُدُنِ

ما بالُ أَنْدَلُسٍ أُخْرَى تُؤَرِّقُنِا وكلُّ شَاطِبَةٍ صَارَتْ بِلا ثَـمَنِ[1]

أَبَا البَقاءِ تَعالَ اليَوْمَ مُمْتَشِقًا دَمْعَ القَصِيدَةِ واسْطُرْ قِصَّةَ الحَزَنِ

بَغْدادُ تَبْكِي ولا سَاعٍ لنَجْدَتِها والقُدْسُ تَتْلُو كِتَابَ الخِزْيِ والغَبَنِ

مـاذا أُحَـدِّثُ عَـنْ غَـيْظٍ يُمَزِّقُنـي؟ أَرْضِي تُنَازِعُ مِنْ شَامٍ إلى يَمَنِ

ما عادَ للشَّمْسِ مِنْ دِفْءٍ نُعانِقُهُ وكَيْفَ للشَّمْسِ أَنْ تَحْلُو لِمُحْتَزَنِ؟!

أَيْنَ الرَّشِيدُ يَسُوسُ النَّاسَ مُؤْتَمَنًا؟ واليَـوْمَ لا يُرْتَجَـى عَهْـدٌ لِمُـؤْتَمَنِ

أَيْنَ السُّـــيُوفُ تَجُزُّ الظُّلْمَ تَبْتُرُهُ في سَاحَةِ العَدْلِ مَصْلُوبًا على العَلَنِ؟

---

[1] **شاطِبَة**: هي مَدينَةٌ إسبانيَّة، تَقَع في مقاطعَة بلنسيَّة وفي حَوْض نَهْر البَيْضاء شَرْقي إِسْبانيا؛ ذَكَرها الشَّاعِرُ أبو البَقاء الرَّنْدي كإِحْدى المُدُن التي سَقَطَتْ مع سُقُوط الأَنْدلس، حَيْث رَثاهَا قائِلًا:

فَاسْأَلْ (بَلَنْسيَّةً) ما شَأْنُ (مُرْسيَةٍ) ... وأَيْنَ (شاطِبةٌ) أَمْ أينَ (جَيَّانُ)

يا نَبْضَ مُعْتَصِمٍ في القَهْرِ يُنْجِدُنِي مَـنْ لِي بغَيْرِتِهِ في لَجْمِ مُفْتَتَنِ؟!

لابُدَّ للحَقِّ أَنْ يَحْظَى بقَبْضَتِهِ يُلْقِي عَنِ النُّوَرِ أَكْوَامًا مِنَ الدُّخَنِ

سِرُّ الهَنَاء

يَا لَيْتَـــنِي كَـــالزَّهْرَةِ الفَوَّاحَـــهْ تَهَـبُ الوُجُـودَ جَمَالَـهُ وسَمَاحَـهْ

أَوْ طَـائِرٍ يَغْـزُو الفَضَـاءَ بِجُنْحِـهِ حُـرِّ المَسِـيرَةِ مالِـكٍ مِصْـباحَهْ

يا لَيْتَـنِي فـي غابَـةٍ مَعْزُولَـةٍ نَسِـيَ القَضَـا فِي وَسْـطِها أَتْرَاحَـهْ

الصُّـبْحُ يُـوقِظُ نَسْـمَةً عِطْرِيَّـةً واللَّيْـلُ يَرْقُـبُ فَجْـرَهُ وبَرَاحَـهْ

والـوَرْدُ يُلْقِـي بالأَرْيـجِ سَـلامَهُ فيَزيـدُ فِي حُـبِّ الـوَرَى أَفْرَاحَـهْ

والـمَاءُ يَهْـدُرُ مَـاؤُهُ مُتَشـوِّقًا للنَّبْـتِ حَـتَّى يَجْتَـنِي أَرْباحَـهْ

يا لَيْتَـنِي بَـيْنَ السُّـهُولِ مَعِيشَـتِي حَيْـثُ الصَّـفاءُ مُحَصِّـلٌ مِفْتاحَـهْ

أو فَـوْقَ هَامَـاتِ الجِبَـالِ ببُعْـدِها تَحْـتَ السَّـمَا وطُيُورِهـا الصَّـدَّاحَهْ

سِــرُّ الهَنَــاءِ مَعيشَــةٌ في وَحْــدَةٍ تُنْسِي الكَريمَ على الـدُّرُوبِ جِرَاحَـهْ

ناءَتْ عَـنِ الـدُّنيا مَلامِـحُ أُنْسِـها وغَــدَتْ تَضُــجُّ بأُمَّــةٍ نَوَّاحَــهْ

مـا عَـادَ يَقْنَـعُ بالقَسَـائِمِ أَهْلُهـا شَــيطانُهُا أَهْــدَى لَهُــمْ أَرْواحَــهْ

وَخْزُ الخِذْلان

غَرِيبٌ في بِلادِ العُرْبِ أَنِّي أُلاقَى فِي مَرابِعِها بِمَنِّ
تُغَلَّقُ دونَ أَحْلامِي دُرُوبٌ ويُنْكَأُ كُلَّ يَوْمٍ حُسْنُ ظَنِّي
وما حُلْمِي بأَشْياءٍ عِرَاضٍ ولكِنْ بَعْضُ حاجاتٍ وأَمْنِ
وقَدْ كُنْتُ الحَفِيَّ بكُلِّ آتٍ إذا ضَنَّ الزَّمَانُ بقَطْرِ مُزْنِ
وكَمْ قاسَمْتُ مَنْكُوبًا طَعَامِي وكَمْ واكَبْتُهُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي!
وكَمْ ساهَرْتُهُ أُصْغِي إِلَيْهِ يُحَدِّثُنِي بِلا خَوْفٍ وإِذْنِ!
يُحَدِّثُنِي فيُوقِظُنِي أَسَاهُ ويُورِثُ فِي فُؤَادِي وَخْزَ حُزْنِ
ولَمَّا أَنْ تَوَثَّبَتِ الرَّزَايا أَطاحَتْ بالأَمانِي والتَّمَنِّي

رُمِيتُ بسَيْفِ خِذْلانٍ ونُكْرٍ كَما تَهوِي السُّيُوفُ على المِجَنِّ

وأَهْدَانِي بُنُو قَوْمي أَذاهُمْ وكانَ أَذاهُمُ مِنْ كلِّ لَوْنِ

فأَيْنَ الدَّرْبُ أَسْلُكُهُ عَزِيزًا وقَدْ أُتْرِعْتُ مِنْهُمْ بالتَّجَنِّي؟

كَيْفَ السَّبيل؟

هِـيَ قِصَّـةٌ أَمْلَـتْ عَلـيَّ فُصُـولَها كانَتْ على القَلْبِ الحَزينِ أَمانِـي

أَبْطالُهـا شَـعْبٌ تَعَتَّـقَ حُلْمُـهُ فَيْضًـا يُعـانِقُ رِقَّـةَ الوِجْـدَانِ

ظَلَّـتْ تُـراوِدُهُ مَطـالِعُ لَحْظَـةٍ ذَهَبِيَّـةِ الإِنْشـادِ والأَلْـوَانِ

يُهْـدي بِهـا إِخْوَانُـهُ نَصْـرًا لَـهُ ويَـذُوقُ مِـنْهُمْ نَضْـرَةَ الإِيمـانِ

فتَعثَّـرَ الحُلْـمُ الـذي أَرْدَى بِـهِ لَمَّـا تَنَكَّـبَ إِخْـوَةُ القُـرْآنِ

بانَتْ حَقيقـةُ أَمْـرِهِمْ عِنْـدَ القَضَـا كالشَّـمْسِ تَقْهَـرُ مُقْلـةَ الإِنْسـانِ

فتَمَـالَؤُوا في لَـيْلَهِمْ وتَخَـيَّروا قَـتْلًا بسَـيْفِ الغَـدْرِ والخِـذْلانِ

قَـدْ أَطْفَـؤُوا النُّورَ الـذي جـاءَتْ بِـه آياتُ ربِّي فـي هُـدَى الحَـيْرانِ

أَلِفُـوا الظَّـلامَ فلَوَّنـوا بسَـوَادِهِ شُـغُفَ القُلـوبِ ومَنْطِـقَ العُمْيَـانِ

جَعلــوا زِمــامَ أُمُــورِهِمْ لعَــدُوّهِمْ وتَكَحَّلــوا بالــذُلِّ والإِذْعــانِ

وتَفــاخَرُوا بخُنُــوعِهِمْ يا ليَــتْهُمْ بَلَغُــوا مِــنَ الأَمْجــادِ بِضْــعَ ثَــوَانِ

حَسِبُوا التَّرَاخِـي جالِبًـا نَجْـمَ العُلَـى إنَّ التَّراخِــي مَرْكَــبُ الخَسْــرانِ

ســاءَلْتُ نَفْسِــي والجِــراحُ بَليغَــةٌ كَيْــفَ السَّــبيلُ لرِفْعَــةِ الإِنْســانِ؟

كَيْــفَ النَّجَــاةُ وكُــلُّ بابٍ مُغْلَــقٌ إلاَّ فُنُــونُ العُهْــرِ والعِصْــيَانِ؟

فــإذا نَصَــحْتَ لغــارِقٍ في غَيِّــهِ تُلْقَــى بقَبْضَــةِ ظَالِــمٍ سَــجَّانِ

وإذا دَعَــوْتَ بــدَعْوةٍ نَبَويَّــةٍ قــالُوا: عَــدوُّ الفَــنِّ والأَلْحَــانِ

وإذا ارْتَضَيْتَ بمَنْهجٍ صِنْو التُّقَى قَــذَفُوا إِلَيْــكَ مَعــاوِلَ الشَّــيْطانِ

إنَّ الجَرِيمَــةَ لم تَعُــدْ قَتْــلَ الــوَرَى بَلْ أَنْ تَسِيرَ على هُدَى الرَّحْمَنِ

مَاذَا أُبرِّر؟

مَاذَا أُبرِّرُ والنِّيرانُ تَتَّقِدُ؟ وكَيْفَ يَسْمُو مَعَ الإِجْرامِ مُعْتَقَدُ؟

قَوْمٌ رِعاعٌ يَفِرُّ النُّورُ مِنْ غَدِهِمْ كأنَّهُمْ مِنْ سَوادِ اللَّيْلِ قَدْ وُلِدُوا

يَغْلِي بِخافِقِهِمْ حِقْدٌ فَيُلْجِئُهُمْ نَحْوَ الرَّذيلةِ .. في أَحْضَانِها وُجِدُوا

قَدْ يَطْرَبُ المَرْءُ بالأَلْحَانِ يُنْشِدُها فكَيْفَ يَطْرَبُ أَجْلافٌ بما فَسَدوا؟

مَرَّتْ على خافِقِي أَحْداثُ مَنْ سَبَقوا واليَوْمَ أَرْقُبُها كالجَيْشِ تَحْتَشِدُ

في أَيِّ رُكْنٍ يَعِيشُ المَرْءُ مُنْبَسِطًا كالطَّيْرِ يَعْلُو بلا قَيْدٍ ويَنْفَرِدُ

ما عادَ في النَّاسِ شَيْءٌ أَسْتريح بهِ فقَدْ مَلَلْتُ نِفَاقًا ما لَهُ أَمَدُ

وسَلَكْتُ دَرْبًا آخَر

مَعْجُونَـةً بِصُـدُودِها وجَفائِهـا جـاءَتْ تُحَـاوِرُ عاشِـقًا بِبُكائِهـا

مِـنْ بَعْـدِ أَنْ غابَـتْ وَراءَ عُهُودِهـا وأَنا الظَّمِـيءُ لحُسْـنِها وحَيائِهـا

لا زِلْـتُ أَحْسَبُها غَمامَـةَ مُهْجَـتي لكنَّهـا مَحْبُوسَـةٌ بسَمائِـهـا

الـمَاءُ يُغْـرِي مَـنْ تَيَمَّـسَ جَوْفُـهُ والأَرْضُ تَحْيَـا بالغُيُـومِ ومائِهـا

كَـمْ أَمْطَرَتْنـي بالغِيَـابِ ونَارِهِ وتَمَنَّعَـتْ عَـنْ وَصْـلِها بـدَهائِها!

سَـدَّتْ نَوَافِـذَ فَـرْحَتِي وتَأَمُّلـي وَهَـوَتْ بعـاطِر لَيْلَـتِي وصَـفائِها

فِي وَعْـدِها أَلْفَـى السَّـرابُ طَرِيقَـهُ رَغْـمَ السَّـرابِ لقَـدْ مُنِيـتُ بـدَائِها

حَتَّى فَرَشْـتُ على الجِـراحِ صَبابَتِي وتَرَكْـتُ دَرْبًا لَـمْ يَعُـدْ لِلقائِهـا

وَدَاع

عَزيـــــــــزٌ أَنْ تُفـــــــــارِقَنِي فَفِيـــــكَ يُطـــــالَعُ الأَمَـــــلُ

وعَيْـــــنِي مـــــا لَهَـــــا نَـــــوْمٌ وكَيْـــــفَ يَنـــــامُ مُنْشَـــــغِلُّ؟

ستَسْـــــطعُ فيـــــك أُمْنِيَـــــتِي وتَـــــرْوي قِصَّـــــتِي الجُمَـــــلُ

وتَغْـــــدُو مِثْـــــلَ قافِيَـــــةٍ يَغـــــارُ برَوْضِـــــها الغَـــــزَلُ

علـــــى إيقـــــاعِ أَيَّامـــــي يُدانِـــــي مُهْجَـــــتِي الأَجَـــــلُ

فهَـــــلْ فـــــي أُفْقِنـــــا جَمْـــــعٌ وهَـــــلْ فـــــي دَأْبِنـــــا عَجَـــــلُ؟

تَرَكْـــــتُ الأَمْـــــرَ فِي طَـــــيٍّ ومـــــا فـــــي الطـــــيِّ مُبْتَـــــذَلُ

وقُلْـــــتُ لعَـــــاذِلٍ حَسْـــــبِي إِلَـــــهٌ مـــــا لَـــــهُ بَـــــدَلُ

فأَشْـــــرَقَ نُـــــورُ بارِقـــــةٍ كقُـــــرْصِ الشَّـــــمْسِ يَكْتَمِـــــلُ

ونَفْسِـــــي عانَقَـــــتْ صَـــــمْتًا ويَجْـــــرَحُ صَـــــمْتِيَ الجَـــــدَلُ

أَتَيْـــــتُ اليَـــــوْمَ مُعْتَـــــبِرًا إذا مـــــا النَّـــــاسُ قَـــــدْ جَهِلُـــــوا

قَدْ أُعْذِرَ المَوْجُوع

فاضَتْ على خَدِّ الحَنِينِ دُمُوعُ مِنْ حُرْقَةٍ .. اسْأَلْ تُجِبْكَ شُمُوعُ

يَتَقاطَرُ الدَّمْعُ الحَزينُ كدَفْقَةٍ مَوْجُوعَةٍ .. قَدْ أُعْذِرَ المَوْجُوعُ

هَلْ أُذْرِفَتْ مِنْ غَيْرِ جُرْحٍ غائِر؟ ولكلِّ فِعْلٍ في الأَنامِ شُرُوعُ

فِي القَلْبِ أَنَّاتٌ تَعالَى صَوْتُها خَرَجَتْ تُنادِي ما لَهُنَّ رُجُوعُ

إِنْ أُبْقِيَتْ ضاقَتْ بِها أَضْلاعُنا كَمْ أُتْلِفَتْ بلَظَى الأَنينِ ضُلُوعُ!

إِنْ كانَ للفَرحِ البَهِيِّ مَسالِكٌ ما بالُ دَرْبِي للأَسَى يُنْبُوعُ؟!

حَبِيسُ القُيُود

يُــداعِبُ رُوحِــي مُــرَادٌ بَعِيــدْ ويَجْــرَحُ حُلْمِــي خُنُــوعُ العَبِيــدْ

فــأَلْقَى الضِّــيَاءَ رَبيــعَ الحَيــاة وأُلْفِــي الظَّــلامَ خَريفًــا عَنِيــدْ

وأَرْنُــو ليَــوْمٍ يُنِــيرُ الطَّريــق ويَأْتِي علَيْنــا بفَجْــرٍ جَديــدْ

أَأَغْــزِلُ شِــعْري بنَسْــجِ الــمُحَال وأَزْرَعُ قَمْحِــي بأَرْضِ اليَهُــودْ؟

فكَيْــفَ يُغــنِّي أَسِــيرُ السُّــجُون وكيــفَ سَيَشْــدُو حَبيسُ القُيُــودْ؟

وكيــفَ سيُشْــرِق فِينــا الصَّــباح وأَهْــلُ الظَّــلامِ علَيْــهِ قُعُــودْ؟

تُطــارِدُ قَلْــبِي دُمُــوعُ الضِّــعَاف ويَطْحــنُ نَفْســي أَنِــينُ الوَلِيــدْ

ويَجْــرَحُ مــنِّي عَميــقَ الشَّــغَاف خِيانَــةُ قَــوْمِي لأَرْضِ الجُــدُودْ

السَّيْفُ خَيْرُ حَليف[1]

جُـرْحٌ بقَلْـبِي يَسْـتَبيحُ حُروفـِي مِـنْ عُصْـبةِ الأَحْقـادِ والتَّزْيِيـفِ

لَمَّـا رَمَـوْا زَوْجَ النَّـبيّ بفِرْيَـةٍ دامَ القِصـاصُ لنُصْـرَةِ الـمَقْذوفِ

أُمَّـاهُ دُونَـكِ رُوحُنـا مَبْذُولـةٌ والسَّـيْفُ دونَ العِـرْضِ خَـيْرُ حَليـفِ

أُمَّـاهُ إنَّ الـنَّجْمَ يَنْشـرُ ضَـوْءَهُ فيُـزِيحُ عَـتْمَ الكَوْكـبِ الـمَخْسُوفِ

مَهْمـا سَـعَى أَهْـلُ الظَّـلامِ لـوَأْدِهِ لابُـدَّ يَسْـري بَعْـدَ كُـلِّ كُسُـوفِ

لا تَنْبُـتُ الأَزْهـارُ في قَفْـرِ الثَّـرَى يا أُمَّـةَ التَّحْريـفِ والتَّخْريـفِ

عَمِـدَ اللِّئـامُ إلى حِيَـاضِ عَفافِنـا وأَتَـوْا بقُـبْحِ القَـوْلِ والتَّرْجيـفِ

قَـدْ مـرَّغَ الأَصْـحابُ أَنْـفَ شُمُـوخِهِمْ والغَـيْظُ يُلْهِـبُ جَـذْوَةَ التَّطْفِيـفِ

---

[1] هذه القَصِيدةُ مُهْدَاة إلى مَقَامِ سيّدتِنا عائِشَة الطَّاهرة المُطهَّرة، رَضيَ اللهُ عَنْها وأَرْضَاها، زَوْج النَّبي عَلَيْه الصَّلاة والسَّلام؛ وهي مَنْشُورةٌ في كِتَاب: "ديوَان الطَّاهرة"، إِعْداد وتَقْدِيم أ. بَرَاء الشَّامي.

أُمَّـــاهُ يا أُسَّ الطَّهـــارةِ والتُّقَـــى لا تَحْـزِني فـالقَوْمُ نَسْـلُ رَصـيفِ

يَكْفِيـكِ مـن شَـرَفِ الـمَنازِلِ رُتْبَـةً آياتُ رَبـّي أُحْكِمَـتْ بحُـروفِ

جـاءَتْ تُنـزِّهُ رَمْـزَ كُـلِّ عَفِيفـةٍ وسَمَـتْ عَـنِ الإِخْـلالِ والتَّصْـحيفِ

سـيَظلُّ سَـيْفُ الحـقِّ يَعْلُـو صَـوْتُهُ مَهْمـا تَتَالَـتْ حالِكـاتُ صُـرُوفِ

ويَظـلُّ عِـرْضُ نَبِيِّينـا فَخْـرًا لَنـا مـا دامَ في الأَكْـوانِ نَـبْضُ شَـريفِ

نَحْـنُ الهُـداةُ علـى طَريـقِ مُحَمَّـدٍ وصَـحابَةٍ صَـدَقُوا مـعَ التَّكْليـفِ

ولآلِـهِ فـي القَلْـبِ أَنْفَسُ مَوْضـعٍ بمَعـــارِجِ التَّدْريـــجِ والتَّصْنيـــفِ

جُرْحٌ ما لَهُ مَرْسى

بَكَيْـــــتُ الشَّـــــامَ والقُدْســـــا

وجُرْحًـــا مـــــا لَـــــهُ مَرْســـــى

وعـــــــاتَبنِي بِـــــــلا دَمْـــــــعٍ

ضَـــــمِيرٌ عـــــانَقَ الشَّمْســـــا

صُـــرُوحُ المَجْـــدِ قَـــدْ أَفَلَـــتْ

تُعـــــادِي الـــــرُّومَ والفُرْسَـــــا

أَمَـــــاتَ القَهْـــــرُ أُمَّتَنـــــا

وشَـــــقَّ الـــــرُّوحَ والنَّفْســـــا؟

فَبـــــاتَ المَـــــوْتُ مَحْمـــــودًا

وباتَ الحـــــــقُّ مُلْتَبِســـــــا

وصِـــــــرْنا مَحْـــــــضَ أَشْـــــــلاءٍ

أَقـــــــامُوا فَوْقَنـــــــا عُرْسَـــــــا

ضِـــــــباعُ اللَّيْـــــــلِ تَنْهَشُـــــــنا

فَـــــلا تُبْقِـــــي لَنـــــا رَمْســـــا

بَيْنَ الأَسِنَّة

بَـيْنَ الأَسِـنَّةِ مَجْـدُنا يُسْـتَكْتَبُ لا بالـدُّمُوعِ علـى النَّوَائِـبِ تُسْـكَبُ

مَهْـرُ الـمَفاخِرِ فِي الـمَعَارِكِ خَوْضُـها إنَّ الحَرائِـرَ بالنَّفـائِسِ تُخْطَـبُ

لَـيْسَ الـدُّعاءُ بجالِـبٍ نَصْـرًا لَنـا ما دامَ مَـنْ يَـدْعُو يَـرُوغُ ويَكْـذِبُ

بالهِمَّـةِ الشـمَّاءِ نَبْلُـغُ سُـؤْلَنَا وعَـدُوُّنا يَـوْمَ الوَقيعَـةِ يَهْـرُبُ

والحَـقُّ مَنْصُـورٌ بـزَأْرةِ أَهْلِـهِ لا بالهُـروبِ كخـائِفٍ يَتَرَقَّـبُ

قـدْ خـابَ مَـنْ طَلَـبَ الحَيَـاةَ بذِلَّـةٍ يَرْضَـى الدنيَّـةَ لا يَثُـورُ ويَغْضَـبُ

دَعْـوَى السَّـلامِ مـن الدَّنِـيِّ مَكِيـدةٌ لا يَصْـدقُ النَّـذْلُ الخَسِـيسُ الأَجْـرَبُ

فَوْقَ الهُمُومِ هُمُومُ

طافَتْ على نَسَقِ العُيُونِ رُسُومُ وبَكَى على وَصْلٍ مَضَى مَكْلُومُ

ما حَالُ مُرْتَحِلٍ يَذُوبُ صَبابةً فِي رَحْلِهِ فَوْقَ الهُمُومِ هُمُومُ؟

ويَنالُهُ شَوْقٌ تَدَثَّر حُرْقَةً كَمَواجِعٍ ما ذَاقَها مَحْمُومُ

اللَّيْلُ يَأْتِي يَرْتَوي مِنْ عَتْمِهِ هَلْ يَرْتَوِي مِنْ قَهْرِهِ المَظْلُومُ؟

مِنْ نَسْمَةٍ للصُّبْحِ لَوَّنَ رُوحَهُ ومَعَ النَّسيمِ رَسَائِلٌ وَعُلُومُ

ويُساهِرُ النَّجْماتِ فِي عَلْيَائِها كَيْفَ المَنامُ والمِزاجُ سَقيمُ؟

ويَوْمُ الثَّلْج

ويَـــوْمُ الثَّلْـــجِ أَظْهَرَهُـــمْ وأَظْهَـــرَ خُبْـــثَ جِيْـــرانِ

وأَظْـــهرَ كِذْبـــةً كُبْـــرَى بِـــلادُ العُـــرْبِ أَوْطانِـــي

وأَظْهـــرَ عُـــرْيَ أُمَّتِنـــا فَمِـــنْ قَـــاصٍ إلى دَانِـــي

أَضَـــاعُوْا القُـــدْسَ مـــن قَبْـــلٍ ومـــا اكْتَرَثُـــوا لبَغَـــدْانِ

وخَـــيْرُ الأَرْضِ فـــي شَـــامٍ علـــى خُطُـــواتِ فِقْـــدانِ

فيَـــا ربِّـــي بِنَـــا رِفْقـــًا إِلَيْـــكَ جَعَلْـــتُ عُنْوَانِـــي

فَـــلا عُـــرْبٌ بِهِـــمْ خَيْـــرٌ ولا أَنْصَـــارُ إِنْسَـــانِ

قِصَّةٌ وقَصِيدَة – صَدقتُكَ في رَمَضان[1]

مَشْهَد أوَّل:

شَابٌ يَسْتلم مُكافأةً ماليَّة من مُدِيره، فيَذْهب إلى السُّوقِ ليَشْتري تَمْرًا؛ يَشْتَري كيسَيْن من التَّمر.

مَشْهَد آخر:

شابٌ آخر يَرَى حَجرًا في مُنْتَصف الطَّريق بجانب مَنْزِلٍ مُدَمَّر، فيَرْمِي بهِ بَعيدًا لكَيْ لا يُؤْذي الناسَ.

الشَّابُ الأوَّل يَمُرُّ من الطَّريق نَفْسها التي أزالَ الشابُ الثاني الحجرَ منها، ثمَّ يَذْهب إلى البَيْت، ويخرج ليَعْطيَ جارَه (الشَّخص الثانِي) كيسًا من التَّمْر الذي جاءَ به من السُّوق.

مِنْ بَعْدِ أَنْ بَلغَ المُديرَ نَشاطُهُ أَعْطَى مُكَافأةً تَلِيقُ بجُهْدِهِ

فمَضَى إلى سُوقِ التُّمُور ليَشْتري كيسَيْنِ مِنْها كَيْ يَجُودَ بوَعْدِه

[1] مَشاهِدُ هذه القِصَّة أَرْسَلَها لي أخٌ كريم لأَصُوغَها شِعْرًا، بِهَدف إِنْشادِها في شَهْر رَمَضان 2017 م، تَحْت عنوَان "صَدقتكَ في رَمَضان"؛ وقد فَعْلتُ، وجرى إِنْشَادُ القطعَة الشعريَّة الثانية مِنْها.

وإذا بهِ في دَرْبِهِ يَلْقَى فَتَىً في وَسْطِ حَيٍّ قَدْ خَلا مِنْ مَجْدِهِ
قَدْ أَمْسَكَتْ كِلتا يَدَيْهِ بصَخْرةٍ فأَزاحَها مُتَحَسِّبًا في قَصْدِهِ
عادَ المُكافَأُ مُسْرِعًا في غايةٍ كَمْ أَوْصَلَتْ رُوحَ الكَرِيمِ لسَعْدِهِ!
وأَتَى بكِيسِ التَّمْرِ يُعطِيهِ الفَتَى هذا جَزاءُ المُخْلِصينَ لعَهْدِهِ

وبصِيَاغَةٍ شِعْرِيَّة أُخْرَى، قُلْتُ

رَمَضانُ أَقْبلَ كالنَّدَى الغَدَّاقِ يَزْهُو كمُشْتاقٍ إلى مُشْتاقِ
رَمَضانُ شَهْرٌ حامِلٌ سُبُلَ الهُدَى لِلْمُمْسِكينَ بِشِرْعَةِ الخَلاَّقِ
لَمَّا تَبَصَّرَ عاقِلٌ في أَمْرِهِ وَجَدَ الطَّرِيقَ مَكارِمِ الأَخْلاقِ
النَّفْسُ تَسْمُو بالعَطاءِ وتَعْتَلِي حتَّى تُلامِسَ مُشْرِقَ الآفاقِ
تَمْضِي الحَيَاةُ إلى الفَنَاءِ بأَسْرِها ويَدُومُ ذِكْرُ مُدَاوِمِ الإِنْفاقِ
إنَّ الكَرِيمَ مُزيَّنٌ بفِعالِهِ كَمَنارةٍ في ظُلْمَةِ الأَنْفاقِ

لابُدَّ أَنْ يَنْمُو السَّخَاءُ بأَهْلِهِ ويَعُودَ بالخَيْرَاتِ والأَرْزاقِ

هِيَ سُنَّةُ المَوْلَى بنُورِ كِتابِهِ خُطَّتْ على الأَيَّامِ والأَوْراقِ

قِصَّةٌ وقَصِيدَة – كلُّ البُكَاء

حَزنَ الحَبيبُ المُصْطفى على مَقْتل عَمِّه حَمزة – رضيَ الله عنه – حُزْنًا شَديدًا، قال ابنُ مَسْعود: (ما رَأْيْنا رَسُولَ الله – عَلَيْه الصَّلاة والسَّلام – باكِيًا قطّ أَشَدَّ مِن بُكائِه على حَمْزة بن عبد المُطلِّب، وَضَعه في القِبْلة، ثمَّ وقفَ على جَنازته، وانتحبَ حتَّى نَشغَ من البُكاء). ورُويَ أنَّه "كان رسولُ الله – عليه الصَّلاة والسَّلام – يعزُّ حَمزة، ويحبُّه أشدَّ الحبّ؛ فلمَّا رأى شَناعةَ المُثْلَة في جسمه تألمَ أشدَّ الألم، وقال: لن أُصابَ بمثلك أبدًا، ما وَقفتُ قطُّ مِوْقفاً أَغيْظَ إليَّ من هذا).

ويُذْكَر أنَّ حمزةَ – رضيَ اللهُ عنه – قَدْ ضَربَ أبا جَهْلٍ ذات مرَّةٍ بعدَ أن تعرَّض الأخيرُ للرَّسول – صلَى الله عليه وسلَّم – بالسُّوء، وقالَ حَمْزة لأبي جهل بعدَ أن ضربَه: رُدَّها عليَّ إِنْ استَطَعَت، فانْكَفأَ أبو جَهْل ومَضَى.

كَمْ أَحْزَنَني أن يَبْكي رسولُ الله – عَلَيْه الصَّلاة والسَّلام – بمثل هذا البُكاء، فِداه أبِي وأمِّي، فقُلْتُ:

كـــلُّ البُكـــاءِ أَراهُ أَمْـــرًا هيِّنًـــا يَوْمًـــا أُقارِنُـــهُ بدَمْعَـــةِ أَحْمَـــدِ

كـــانَ النَّشـــيجُ بصَـــوْتِه مُتَمكِّنًـــا يَبْكِـي عَلَـى أَسَـدِ الرِّجـالِ السـيِّدِ

هُــوَ حَمْــزةٌ عَــمُّ النَّــبيِّ وحِــرْزُهُ ضَـربَ الشَّـقِيَّ بِمِـلْءِ كَـفٍّ فِي اليَـدِ

هــذا أبُــو جَهْــلٍ تَقــبَّحَ فِعْلُــهُ إِنْ كُنْـتَ تَقْـدِرُ رُدَّهـا فِي الـمَوْعِدِ

لكــنَّ عَبْــدَ الله أَخْــزَى وَجْهَــهُ فارْتَــدَّ خَلْفًــا كالكَسِــيرِ الأَرْبَــدِ

حُـــبًّا عِبـــادَ الله إِنِّي مُـــوقِنٌ أَنَّ السَّــلامةَ فــي اتِّبــاعِ مُحَمَّــدِ

في لَيَالِي الشَّوْق

نارُ وَجْـــــــدِي في اِشْـــــــتِعالٍ

زَارِنِي طَيْـــــــفٌ حَنُـــــــونْ

صـــــــارَ مـــــــنِّي في فُـــــــؤَادٍ

وارْتَـــــــوَى منِّـــــــي الأَنِيـــــــنْ

فاعْذُرونِـــــــي إِنْ تَهَـــــــاوَى

عاشِـــــــقٌ ضَـــــــلَّ القَريـــــــنْ

إنَّ للأشْـــــــــواقِ وَقْعـــــــــًا

لَـــــيْسَ يَهْـــــواهُ السُّكُـــــونْ

"وَيْـــــحَ قَلْـــــبِي مـــــن غَـــــرامٍ"

لا يُـــــــدَارِي .. لا يَصْـــــــونْ

صَـــــدَّ عـــــنِّي كُـــــلَّ وَصْـــــلٍ

أَمْ تُـــــــراهُ قَـــــــدْ يَخـــــــُونْ

مـــــا لصَـــــبْري مِـــــنْ مُقـــــامٍ

شَـــــــفَّنِي فِيـــــــهِ الحَنِيـــــــنْ

فـــــي لَيَـــــالِي الشَّـــــوْقِ أَزْوِي

خـــــائِرًا فَـــــوْقَ الغُصُـــــون

قَـــــدْ جَفانِـــــي النَّـــــوْمُ عُمْـــــرًا

واسْـــــــتَبانَ فـــــي العُيُـــــونْ

لا تَلومُـــــوا الصَّـــــبَّ يَوْمـــــًا

عَهْـــــــدُهُ عَهْـــــــدٌ أَمِيـــــــنْ

هَكَذا الدُّنْيا

هِـــيَ هكـــذا الـــدُّنْيا لِقـــاءٌ عـــابِرُ

تَمْضِـي كمـا يَمْضِـي السَّـحابُ الـماطِرُ

اليَـــوْمَ أَفْـــراحٌ تَدانَـــى أُنْسُـــها

وغَـــدًا يُعَكِّرُهـــا فِـــراقٌ جـــائِرُ

يَأْبَـــى النَّعـــيمُ بأَنْ يَـــدومَ بَقـــاؤُهُ

فـــي شِـــدَّةٍ تَأْتِـــي يَفُـــوزُ الشَّـــاكِرُ

لا يَسْـــتَوي بِصَـــنِيعهِ مُتَعَقِّـــلٌ

ومُغـــامِرٌ فـــي فِعْلِـــهِ ومُقـــامِرُ

بَسَــطَ المُعَــنَّى فَــوْقَ جِسْــرٍ حُزْنَــهُ

وأَوَى إِلَيْــــــه دُعــــــاؤُهُ المُتنَــــــاثِرُ

أَوْدَعْــــتُ دَمْعِــــي فِي البِحــــارِ لَعَلَّــــنِي

أُخْفِــــي حَنِينًــــا يَمْتَطيــــهِ الحــــائِرُ

هِيَ الذِّكْرى[1]

نَسِـيمُ الصُـبْحِ أَشْـجانِي مَلِيًّـا وأَوْرَدَنِي خَيـــالًا شـــاعِرِيًّا

فَحـارَ الفِكْـرُ وارتَعَشَـتْ ضُـلُوعي وسـالَ الـدَّمْعُ مِـنْ عَيْـنِي سَـخِيًّا

وصِـرْتُ مُحَـيَّرًا في كـلِّ حِـينٍ أُرِيـدُ لخـافِقي رُكْنَـا قَصِـيًّا

وباتَ يَطـوفُ بِي حُلْـمٌ شَـرِيدٌ أُلَمْلِمُـهُ فيُفْلِـتُ مِـنْ يَـدِيًّا

هِـيَ الـذِّكْرى تُعـاوِدُنِي وتَـدْنو فتَرْتِـي مـا تَعشَّـقَ مُقْلَتِيًّـا

فـإِخْوَانٌ ولُقْيَـا وابْتِهـاجٌ وأُنْـسٌ سـاهَرَ اللَّيْـلَ الهنيًّـا

وأيَّامٌ يَكـادُ علـى حَلاهـا يَفـيضُ الزَّهْـرُ فـي رَسْـمِ الـمُحيًّا

---

[1] قَصيدةٌ نَظمتُها بتاريخ 1 آب/أَغسْطُس 2015 م؛ وكنتُ قَدْ نَشرْتُها في ديوانِي الأوَّل "أَبْلغ من الصَّمْت"، ولكن خِلال مَراحِل التَّصْحِيح مع الدَّار الناشِرَة فاتَ أَحَدَنا تَثبيتُ التَّصْحيح لخَللٍ عَرُوضي في مَوْضِعَيْن، مِمَّا اضْطرني لإعادَة نَشْر القَصيدَة مَرَّةً أُخْرَى هُنا بَعْدَ تَجاوُزِ هذه المشكلَة، مِمَّا اقْتَضَى التَّنْويه.

وتُؤْنِسُــنِي دُرُوبٌ مِــنْ بِــلادي تَقلَّــدَتِ الجَمــالَ اليُوسِــفيَّا

دُروبٌ لَـمَ تَبَـحْ يَوْمًـا بسِـرٍّ تَخَــالُ حِجارَهــا دُرًّا نَقِيَّــا

ولَــيْلاتٍ سَــرَقْنا مِــن سَماهــا مَصــابيحًا وضَــوْءًا لُؤْلُئِيَّــا

شَــغَلْناها بفَــيْضٍ مــن حَــديثٍ وأَوْدَعْنــا بهــا نَظْمًــا خَفيَّــا

مَــلأْتُ بحُبِّهــا أَجْــوافَ قَلْــبِي فَصَــارَ بــذِكْرِها قَمَــرًا وَضِــيَّا

سُــكُونُ اللَّيْــلِ في حِمْــصٍ صَــفَاءٌ تُزَيِّــنُه اللآلِــئ والثُّرَيَّــا

عَشِــقْتُ جَمَالَهَــا طِفْــلًا صَــغِيرًا أُعَــايِنُ في مَرابِعِهــا الحُلِيَّــا

ولــمَّا نَاءَ عَــنْ عَيْــنِي ثَرَاهَــا تَخَلَّــى عَــن كِيــانِي ناظِرِيَّــا

هُنــا في كــلِّ شِــبْرٍ كــانَ شَــيْخٌ يَمــدُّ الغَــرْسَ تَحْنــانًا ورِيَّا

يُلاعِــبُ تارةً طِفــلًا صَــغيرًا ويَنْثــرُ لُطْفَــه لَحْنًــا شَــجِيَّا

يُناصِـــحُهُ برِفْـــقٍ واصْـــطِبارٍ ويَرْســمُ خَطْـوَهُ خُلُقًـا سَـويَّا

ويَـــدْعُو تارةً لصَـــلاةٍ صُـــبْحٍ يَفـوقُ ضِـياؤها الـنَّجْمَ العَلِيَّـا

وناصـــيةٍ جَلَسْـــنا في رُباهـــا وفَتَّقْنـــا حَـــديثًا مُخْمَليَّـــا

وضـحكاتٍ تَعالَـتْ لَسْـتُ أَدْري أَنُحْيِيهـا وقَـدْ صـارَتْ نَسِـيَّا؟

أَتَرْجِـعُ بَعْـدَ أَنْ غابَـتْ وُجُـوهٌ وقَـدْ كانَـتْ لنـا ثَمَـرًا جَنِيَّـا؟

يَغـارُ القَلْـبُ مـن شَـوْقِي لِحْمـصٍ ويَعْتِـبُ .. والحَنـينُ طَغَـى علـيَّ

برَغْمِـي حُبُّهـا والحـبُّ يَرْقَـى بأَصْـحابِ القُلُـوبِ إلى الثُّـريَّا

أَيَا ربَّ القُلُـــوْبِ أَلا فَعُـــدْ بِي إلـى الأَحْبَـابِ واجْعَلْـني رَضِيَّـا

فَمَـا نَفْـعُ الحَيَـاةِ بغَـيْرِ أَهْـلٍ أَصِـيرُ بقُـرْبِهم طَلْـقَ المُحَـيَّا

تَعَبُ الشَّوَارِعِ

هَــذِي الشَّــوَارِعُ تَحْكِــي قِصَّــةَ التَّعَــبِ
مَــنْ ذا سَيَشْــرَحُها في حَوْمَــةِ الخُطَــبِ؟
مَــرَّتْ عَلَيْهــا مَــعَ الخُطْــوَاتِ أَفْئِــدَةٌ
فــي بَعْضِــها نَصَــبٌ يَرْبُــو علـى النَّصَــبِ
هُنَــا بَكَــى عائِــدٌ مِــنْ صَــوْبِ فِلْذَتِــهِ
لا شَــيْءَ يُسْــعِدُه في مَسْــرَحِ الكُــرَبِ
وتِلْــكَ مَكْسُــورَةُ الأَحْــلامِ باكِيَــةٌ
تَشْــكُو إلى الله حَظًّــا دائِــمَ الهَــرَبِ

سَأَقُول

سـأَقُولُ للمَفْتُونِ فـي وَهْـمِ السَّـلامْ

سـأَقُولُ للمَخْـدوعِ يُغْريـهِ الكَـلامْ

سـأَقُولُ للـرَّوْضِ المُضَـمَّخِ بالحِمَـامْ

ضـاعَتْ أَمانِينـا علـى بابِ الخِيَـامْ

فمَتَى الرُّجُوعْ ... للهَائِمِ المُشْتاقِ تَسْكُبُهُ الدُّمُوعْ؟

***

سَـأَقُولُ للطَّـيْرِ الـذي في عُشِّـهِ مـاتَ النَّشِـيدْ

سَـأَقُولُ للطِّفْـلِ الـذي يَبْكِـي علـى فَـرَحٍ بَعِيـدْ

سَـأَقُولُ لـلأُمِّ الـتِي مِـنْ رَحْمِهـا خَـرجَ الشَّـهيدْ

أَيْـنَ المَوائِـدُ والمَبـَاهِج في شَـذَا العِيـدِ السَّـعيدِ؟

ومَتَى الرُّجُوعْ ... للهَائِمِ المُشْتاقِ تَسْكُبُهُ الدُّمُوعْ؟

***

الحـــقُّ ضـــاعَ علـــى مَتاهـــاتِ الطَّريـــقْ

فـــي نَهْـــرِنا .. في بَحْـــرِنا حُلْـــمٌ غَريـــقْ

وتَبَـدَّدَتْ في عَتْمـةِ المَجْـهُولِ آمَـالُ الصَّـدِيقْ

مـــا عـــادَ يُطْفِـــي دَمْعُنـــا لَفْـــحَ الحَرِيـــقْ

فمَتَى الرُّجُوعْ ... للهَائِمِ المُشْتاقِ تَسْكُبُه الدُّمُوعْ؟

***

ومَـــتَى أُعـــانِقُ فـــي الظَّـــلامِ ثَـــرَى الـــتُّرابْ؟

أَشْـــتاقُ للغَيْمَـــاتِ يَحْمِلُهـــا السَّـــحَابْ

وأُفَجِّـــرُ الآهـــاتِ فـــي حِـــبْرِ الكِتـــابْ

وأَشُـــقُّ فَجْـــرًا عابِقًـــا وَسْـــط الضَّـــبابْ

ومَتَى الرُّجُوعْ ... للهَائِمِ المُشْتاقِ تَسْكُبُه الدُّمُوعْ؟

***

لا أُنْـــسَ يَبْـــدو وَسْـــطِ أَنَّاتِ الـــدُّرُوبْ

قَـــدْ مَسَّـــنا فِيهـــا لَظَـــى وأَسَـــىً لَغُـــوبْ

فمَـــتَى تُـــوَدِّع يَوْمَنـــا نارُ الكُـــرُوبْ؟

ومَـــتَى تُغـــادِر أَرْضَـــنا تِلْـــكَ الحُـــرُوبْ؟

ومَتَى الرُّجُوعْ ... للهَائِمِ المُشْتاقِ تَسْكُبُهُ الدُّمُوعْ؟

كانَ حُلْمِي

قَــدْ كــانَ حُلْمِــي وَارِفًــا وَسْــطَ الضُّــلُوعْ
والضَّــوْءُ يَغْــزِلُ مِــنْ مَنارَتِــهِ الشُّــمُوعْ
بَــيْنَ الــمَباهِجِ أَرْتَمِــي مُتَخــيِّرًا
وأَلُــوذُ فِي وَهْــمِ السَّــلامِ علــى الرُّبُــوعْ
وأُعــانِقُ الأَيَّامَ فــي إِشْــراقِها
والشَّــمْسُ تَمْــرَحُ فــي الــمَغِيبِ وفِي الطُّلُــوعْ
قَمَــرٌ أُغازِلُــهُ عَلَــى بَحْــرِ السَّــما
فتَغــارُ مِــنِّي مَــنْ يُمَنــيِّها الرُّجُــوعْ
تِلْــك السُّــنُونَ تَنَكَّبَــتْ فِي غَفْلَــةٍ
مــا بَيْنَنــا صَــارَتْ مَتــارِيسُ الــدُّرُوعْ

التَّفرُّقُ أَصْلُ كُلِّ رَزِيَّة[1]

إنَّ التَّفـــــرُّقَ أَصْـــــلُ كُـــــلِّ رَزِيَّـــــةٍ

أَوْحَـــى بـــذَاكَ إِلِهُنـــا مـــا يُـــوحَى

كَثُـــرَتْ فَصـــائِلُ ثَـــوْرةٍ مَغْـــدورَةٍ

نَصَـــبَتْ لَهَـــا نَحْـــو المَمَـــاتِ ضَـــريحا

مَـــنْ يَقْطُـــفِ الأَمْجَـــادَ يُعْلِـــي شَـــأْنَهُ

لا يَطْلُـــــبُ التَّمْجِيـــــدَ والتَّسْـــــبِيحا

مَهْمَـــا سَمَـــتْ أَهْـــدافُ سَـــاعٍ للعُـــلا

لابُـــــدَّ أَنْ يَتَقبَّـــــلَ التَّصْـــــحِيحا

[1] هَذه أَبْياتٌ فاتَ بَعْضُها من قَصِيدة "أَنِين الخِيَام" التي نَشَرْتُها في ديوَانِي الأوَّل "أَبْلغ من الصَّمْت"، فاقْتَضَى التَّنْويه.

لَـــنْ يُـــدْرِكَ الحـــقَّ الجَلِـــيَّ مُلَـــوَّنٌ

أَعْمَـــى البَصـــيرةِ يُـــتْقِنُ التَّمْسِـــيحا

العَـــدْلُ يُعْطِـــي للـــبِلاد شُـــمُوخَها

ويَـــذُبُّ عَنْهـــا الكَيْـــدَ والتَّصْـــوِيحا

كانَتْ وَليَّةَ أَمْرِها

هِـيَ ثَـوْرَةٌ كانَـتْ وَليَّـةَ أَمْرِهـا قامَتْ على أَكْتافِ شَعْبٍ خارِقِ

وتَمَـدَّدَتْ حَـتَّى عَلَـتْ أَصْـداؤُها قَـدْ آذَنَـتْ بخَـوارِقٍ وصَـوَاعِقِ

فتَمَـالأَ الأَوْغـادُ دُونَ طَريقِهـا وأَوَتْ إلَيْهـا حاقِـداتُ بَنـادِقِ

وَجَدَ البُغاةُ مع السِّلاحِ مُرادَهُمْ فـدَعَوْا إلَيـهِ كـلَّ وَغْـدٍ فاسِـقِ

فتَعَكَّـرتْ وتَنَكَّبـتْ عَـنْ رُشْـدِها مـا بَـيْنَ كَيْـدِ مُـؤَجَّرٍ ومُنـافِقِ

ومُضَـلَّلٍ جَعَـلَ الجَريمَـةَ دَرْبَـهُ أَوْ مُولَـعٍ بمناصِـبٍ وبَيَـارِقِ

قَـدْ يَعْتَلِي أَهْـلُ الضَّـلالِ بسَـاعَةٍ مَشْـحُونَةٍ بنَوائَـبٍ وحَرائِـقِ

لكـنَّ جُنْـدَ الحَـقِّ فـي صَـوْلاتِهِمْ هُـمْ أَهْـلُ نَصْـرٍ كالنَّهـارِ الشَّـارِقِ

لابـدَّ للأَحْـرارِ مِـنْ قَطْـفِ العُـلا مَهْما بَغَتْ أَسْيَافُ لَيْلٍ مَارِقِ

وُجُوم

وُجُـومٌ مِـــنْ دَلالاتِ الصُّـــرُوفِ وإِرْعـــابٌ وأَصْـــدَاءُ الوَجيـــفِ

ولَيْـــلٌ لا نُجُـــومٌ فـــي سَـــماهُ ونَـــارٌ أَلْهَبَـــتْ بَـــرْدَ الحـــرُوفِ

لَنَـــا فـــي الغُوطَـــةِ الشَّـــمَّـــاء أَهْـــلٌ تَسَـــامَى مَجْـــدُهُمْ فَـــوْقَ الحُتُـــوفِ

يَبِيـــتُ كَـــرِيمُهم وَسْـــطَ البَـــلايا ولا يَرْضَـــى بأَبْنـــاءِ الرَّصـــيفِ

وَخُـــودٌ مِثْـــل أَقْمَـــارِ اللَّيَالـــي حَرائِـرُ رَغْـمَ سُـتْشِـي أو جُنِيـفِ

لَهُـــمْ فـــي كـــلِّ بـارقـــةٍ نَصِـيبٌ وللبَـاغِـي مَـــآلاتُ الطُّفُـــوفِ

ستَنْتصِـــر الـــدِّماءُ بِـــذاتِ يَـــوْمٍ كما انْتَصَرتْ على غَـدْرِ السُّيُوفِ

في لَحْظَة

حَدَّثتُـــهُ يَوْمًـــا حَـــديثَ مُلـــوَّعٍ

عَـــنْ حُـــرْقَتِي ومَـــدامِعِي ومَضَـــائِقِي

فـــي لَحْظَـــةٍ كـــانَ الفُـــؤادُ مُـــمَزَّقًا

أَفْضَـــى بِمـــا لا يَنْبَغِـــي للحـــاذِقِ

فغَـــدا علـــى الأَيَّامِ دَرْسًـــا نافِعًـــا

أَلاَّ أَبُـــوحَ لِحَاقِـــدٍ أو حَـــانِقِ

كَـــمْ كـــانَ يَكْفِـــي أَنْ أَلُـــوذَ بـــدَفْتَرِي

وأَصُـــونَ سِـــرِّي فـــي شَـــغافِ الخَـــافِقِ

وأُنَــزِّهَ الغَــايَاتِ عَــنْ سَــقْطِ الهَــوَى

مــا كــلُّ مَــنْ حَلــفَ اليَمــينَ بصَــادِقِ

وأَقُــولَ فِي نَفْسِــي: قَضَــاءٌ مُــبْرَمٌ

جــاءَتْ وقائِعُــه بأَمْــرِ الخَــالِقِ

آخِرُ الدَّرْب

إلَـــى خَاتَـــمِ العُمْـــرِ يَرْنُـــو الخَرِيـــفُ

وبَـــيْنَ اللَّيَالِـــي تَسِـــيرُ الحُتُـــوفُ

وصَـــوْتُ الحَفِيـــفِ عَلامَـــةُ هَـــرْءٍ

يَنُـــوءُ بهـــا مِفْصَـــلٌ وكُتُـــوفُ

ضُـــيُوفًا نَجِـــيءُ ونَمْضِـــي سِـــراعًا

ولَـــيْسَ يُقِـــيمُ ببَيْـــتٍ ضُـــيُوفُ

ومَهْمـــا تَمَـــادَى الطَّرِيـــقُ مَسِـــيرًا

فَفِـــي آخِـــرِ الـــدَّرْبِ يَأْتِـــي الوُقُـــوفُ

لُغَةُ العُيُون

وجَلَسْتُ أُنْصِتُ للعَمِيقِ جِراحُهُ

حَتَّى بكَتْ عَيْنِي بدَمْعٍ حارِقِ

فسَمِعْتُه يَبْكِي حَرارةَ وَجْدِهِ

كمُودَّعٍ كَرِهَ النَّوَى ومُفارِقِ

سَاءَلْتُهُ عَنْ عارِضٍ في أَمْرِهِ

يَبْدو جَلِيًّا للحَصِيفِ الحاذِقِ

فتَمنَّعَتْ عَنْ شَرْحِهِ كَلِماتُهُ

حَتَّى غَدَا مُتَورِّطًا كالغَارِقِ

أَفْشَتْ بسِرِّ هُيَامِهِ أَلْحَاظُهُ

لُغَةُ العُيُونِ فَضِيحَةٌ للعاشِقِ

دَرْبُ الغُرُوب

خَـطَّ النَّهَـارُ مـعَ الضِّـيَاءِ طَريقَـهُ واللَّيْـلُ نامَ علـى فِـراشِ الغَيْبَـةِ

وطَوَى الصَّباحُ سُكُونَ وَقْتٍ هاجِعٍ وأَتـى الضَّـجيجُ مُشَـرَّعًا بالأُهْبَـةِ

هَـذِي خُيُوطُ الشَّمْسِ تَنْثرُ عَزْمَها بَيْنَ الوَرَى وعلى دُرُوبِ الرَّغْبَة

مـاذا يُخَبِّـئ يَوْمُنـا فـي غَيْبِـهِ ولكـلِّ يَـوْمٍ سِـرُّهُ فـي الجُعْـبَةِ؟

حـتَّى إذا حَـنَّ المَغيـبُ لوَقْتِـه نَشَرَ الظَّلامَ على مَسَـارِ الأَوْبَـةِ

بَعْدَ الشَّـبابِ كُهُولَـةٌ ومَواجِعٌ سُـودُ الـذَّوَائِبِ لَوْنُهـا للشَّيْبَـةِ

ويَغِيضُ ماءُ جُسُـومِنا مِنْ وَقْعِها لا تَرْعَـوي عَـنْ رَقْبَـةٍ أَوْ رُكْبَـةِ

مَهْمَا يَطُلْ يَنْعُ الغُصُـونِ وزَهْوُها لابُـدَّ أَنْ تَغْـدُو كيَـبْسِ الخَشْـبَةِ

جِئْتُ إلَيْه أَشْكُو

أُبَادِرُهُ بآلامِـــــــــــــــي وأَرْوِي

عَلَـــى أَسْماعِـــهِ ثِقَـــلَ الـــرَّزَايا

وأَشْـكُو مـا تَشَـقَّقَ مِـنْ فُـؤَادِي

كـــأَنِّي بَـــيْنَ أَعْـــدادِ الضَّـــحَايا

فتَـدْمَى في الحَـديثِ نِصَـالُ صَـوْتِي

ويَبْـدُو مـا تَـراكمَ مِـنْ أَسـايَ

أُغَالِبُـــه .. ولكِـــنْ لَـــيْسَ يَعْنُـــو

وتَفْضَـــحُهُ قَـــوانِينُ المَرايَـــا

وفي لَحَظـاتِ حُزْنـِي وانْكِسَـاري

يُطـــــالِعُنِي بأَوْزارِ الوَصَـــــايا

تَمَهَّــلْ! لَــيْسَ يُجْــديكَ انْفِعَــالٌ

وحــاذِرْ .. إنَّ في البَــوْحِ المَنــايَا

أَصَــمْتٌ أَمْ سُــكُوتٌ أَمْ خُنُــوعٌ

وتَــــــدْويرٌ لأَنَّاتِ الــــــزَّوايَا؟

ومِــنْ حَــولِي تُعــاتِبُنِي عُيُــونٌ

وآهــاتٌ ووَخــزاتُ الحَكــايَا

تَــزُورُ مَــدامِعِي في كــلِّ حِــينٍ

ولا تَخْفَــى علــى مــا فــي الحَنــايَا

بَــذَلْتُ لهــا قَراطِيسِــي وشِــعْري

وهَــلْ بالشِّــعْرِ تَنْتصُــرُ القَضَــايا؟

مِنْحَةُ خالِق

الصَّـــبْرُ للإِنْســـانِ مِنْحَـــةُ خـــالِقٍ

فِيهـــا يُجَـــازَى بالثَّـــوَابِ الغَـــادِقِ

فتُعِينُـــهُ فِي كُـــلِّ يَـــوْمٍ عاصِـــفٍ

وتَقُـــــــــودُهُ لِمَرافِـــــــــئٍ وزَوَارِقِ

إِنْ زِيـــدَ صَـــبْرُ الـــمَرْءِ نُـــورًا بالتُّقـــى

فلَقَـــدْ تَحَلَّـــى باليَقِـــينِ الصَّـــادِقِ

قَـــدْ يَقْتَـــلُ الإِنْســـانَ طَـــيْشٌ عـــارِضٌ

يُـــرْدِي بـــهِ فِي حالِـــكٍ ومَضَـــائِقِ

لا يَعْـــــرفُ الآلامَ إلاَّ مُبْتَلَـــــى

يَلْقَـــى مِـــنَ الأيَّام غَصَّـــةَ شـــارِقِ

يَرْجُـــو مـــن الـــمَوْلَى جَزيـــلَ عَطائِـــهِ

بُـــرْءًا يَفِـــيضُ برَحْمَـــةٍ مِـــنْ خـــالِقِ

فإِنْ لم تَظْمَأوا يَوْمًا

أَنَا جُرْحِـــــي يُنَـــــاديكُمْ

ويَفْضَـــحُ سُـــوءَ مـــا فِـــيكُمْ

ويَفْضَـــــحُ لَيْـــــلَ أَقْـــــزامٍ

تَعَـــــرَّوْا فـــــي نَـــــواديكُمْ

تَعـــــالَوْا عـــــانِقُوا أَلَمـــــي

لعَـــــــلَّ اللهُ يَهْـــــــديكُمْ

فـــــإِنْ لم تَظْمَـــــأوا يَوْمًـــــا

فمَـــــا شَـــــيْءٌ ســـــيَرْويكُمْ!

مَتَى يَجْلو ظَلامُ اللَّيْل؟

أنا يا خِـــــلُّ في كَبَـــــدٍ فلَيْـــلُ الظُّلْـــمِ أَضْـــوانِي

وأَرْضـــي لَمْ تَعُـــدْ تَحْنـــو وحَـــوْلي أَهْـــلُ عِصْـــيَانِ

وفي البُلْـــدانِ مَمْجُـــوجٌ بِـــلا ذَنْـــبٍ وعُـــدْوانِ

يُجَـــافيني بَنُـــو قَـــوْمي وأَتْـــرابِي وجِـــيرانِي

أَضَـــعْتُ ضِـــياءَ باصـــرتِي ودَرْبَ الوَاثِـــقِ الهـــانِي

فصِـــرْتُ صَـــديقَ إِهْمـــالٍ قَليـــلَ الـــوَزْنِ والشَّـــانِ

مَـــتَى يَجْلـــو ظَـــلامُ اللَّيـــْ ـــلِ عـــن شَـــعْبِي وأَوْطَـــانِي؟

ونَلْقَـــى نَصْـــرَ أُمَّتِنـــا علـى الطَّـاغِي .. علـى الجـانِي

لنَـــا باللهِ آمـــالٌ تَجِـــيء بلُطْفـــهِ الحـــانِي

فتُشْـــرقُ شَمْـــسُ عِزَّتِنـــا وتُطْفِـــئ نارَ طُغْيَـــانِ

اسْأَلُوا التَّاريخَ والأُمَمَا

جـــاءَ الزَّمـــانُ بأَهْـــوالٍ ومـــا رَحِمـــا

وفَرَّقـــتْ يَـــدُهُ مـــا كـــانَ مُلْتَئِمـــا

باتَـــتْ مَرابِعُنـــا نَهْبًـــا لِمُـــرْتَهَنٍ

باعَ الـــبِلادَ وخـــانَ العَهْـــدَ والقَسَـــما

لم يَبْـــقَ في أَرْضِـــنا حِـــرْزٌ لِمُلْتَجِـــئٍ

يَبْغـــي الأَمَـــانَ إذا مـــا القاتِـــلُ اقتَحَمـــا

هَـــذي الـــدِّماءُ تَحُـــوكُ اليَـــوْمَ أَشْـــرِعَةً

للمُبْحِـــرينَ علـــى نَهْـــجِ العُـــلا قُـــدُما

دَرْبُ البُطولـــةِ فينـــا عـــابِقٌ أَبَـــدًا

إِنْ شِـــئْتمُ فَاسْـــأَلوا التَّـــاريخَ والأُمَمـــا

حُجَّةُ خانِع

أَهْرَقْــتُ فــي نَهْــرِ العُيُــونِ مَــدامِعِي

وشَـكَوْتُ مـا فِـي خـافِقِي لِمَسَـامِعِي

ولَزِمْــتُ صَــمْتًا لا أُطيــقُ دَوَامَــهُ

قَـالُوا: سُـكُوتٌ، قُلْـتُ: حُجَّـةُ خـانِعِ

أَتُوقُ

أَتُــوقُ لسَــاعةٍ لا رَيْــبَ فيهــا

ويَــوْمٍ فاصِــلٍ لا ظُلْــمَ فيــهِ

يُقلَّــبُ ظالــمٌ في النَّــارِ قَهْــرًا

ويَلْقَــى مُــؤْمِنٌ مــا يَشْــتَهِيهِ

أَوْجَزْتَ يا عُمَرُ

هَلْ بَيْنَنا مَلَكٌ أَمْ بَيْنَنا بَشَرُ؟ بلْ أَنْتَ مَدْرسةٌ في العَدْلِ يا عُمَرُ

فارُوقُ أُمَّتِنا سِفْرٌ لِمَنْ عَبرُوا نَحْوَ الفَضِيلةِ جِسْرًا لَيْسَ يَنْكَسِرُ

هَدْيُ النبيِّ سَما في نَهْجِه عَلَمًا وكَيْفَ لا .. وبِهِ الآياتُ والسُّوَرُ؟

أَرْضُ العِراقِ غَدَتْ في يَوْم غَضْبَتِه مَهْدَ الفُتُوحِ لِمَن فَازُوا وما انْكَسَرُوا

والنَّاسُ من فَرَحٍ غنَّوْا لمَقْدِمِهِ وازْدَانَتِ الشَّامُ، صارَ البَغْيُ يُحْتضَرُ

تِلْك البِطاحُ على أَعْتابِه خَضَعَتْ وأَمْحلَ الظُّلْمُ، ما عادَتْ لَهُ صُوَرُ

كَمْ قَدْ سَعَيْتَ أبا حَفْصٍ لنُصْرَتِنا في دَوْحَةِ الحقِّ حتَّى أَيْنَعُ الثَّمَرُ

تاريخُ أمَّتِنا يَزْهُو إذا ذَكَروا أيَّامَكَ البِيضَ حَيْثُ القِسْطُ مُنْتَشِرُ

أَتْعَبْتَ بَعْدَكَ مَنْ للحُكْمِ قَدْ بَرَزوا كأنَّكَ البَدْرُ عِنْدَ اللَّيْلِ يُنْتَظَر

يا صاحِبَ القَوْلِ: كُلُّ النَّاسِ إذْ وُلِدُوا أَحْرارُ أَنْفُسِهِمْ .. أَوْجَزْتَ يا عُمَرُ

مِصْرُ مَعْزُوفَةُ التَّارِيخ[1]

فـــي بَدِيـــعِ القَـــوْلِ والخُطَـــبِ ونُقُـــوشِ الصَّخْـــرِ والخَشَـــبِ

أَنَـــا فـــي التَّاريـــخِ أُغْنِيَـــةٌ صَـــاغَها مَجْـــدِي علـــى الكُتُـــبِ

مِـــنْ جَبـــينِ الشَّـــمْسِ أَنْسُـــجُهُ وَبَريـــقِ الضَّـــوْءِ والذَّهَـــبِ

مِـــنْ ريَـــاضِ الشِّعْـــرِ أَنْظُمُـــهُ مِـــنْ بَهَـــاءِ النَّثْـــرِ والأَدَبِ

مَسْلكـــي بالفَخْـــرِ أَعْرِفُـــهُ رِفْعَتِـــي فـــي الـــدَّهْرِ لَمْ تَغِـــبِ

فَاسْـــأَلُوا الأَيَّامَ عَـــنْ نَسَـــبِي واسْـــأَلُوا الشُّـــرَّاحَ عَـــنْ حِقَـــبِي

عَـــيْنُ جـــالُوتَ عَلَـــى سُـــحُبِي وصَـــلاحُ الـــدِّينِ فـــي حَسَـــبِي

وابـــنُ عـــاصٍ كـــانَ مِـــنْ هِمَـــمٍ يَرْسُـــمُ المَجْـــدَ علـــى الشُّـــهُبِ

[1] هذه القَصِيدَةُ مَنْشورةٌ في كِتاب "مِصْر في عُيُون الشُّعَراء"، إِعْدَاد وتَقْديم أَ. بَرَاء الشَّامي.

رايَـــةُ الأَهْـــرامِ تَخْفُـــقُ فـــي مَنْطـــقِ الإِعْجَـــازِ والعَجَـــبِ

مـــا لِنِيـــلِي فـــي البَقَـــا رَغَـــبٌ إِنْ يَكُـــنْ للسُّـــوءِ مُنْقَلَبِـــي

فـــي بَقَـــائِي للعُـــلا مَـــدَدٌ يَمْتَطِـــي بِـــي هامَـــةَ السُّـــحُبِ

وسُمُـــوِّي لَيْـــسَ يَعْلَمُـــهُ حَـــاقِدٌ يَهْـــذِي مِـــنَ التَّعَـــبِ

لَـــنْ يَخُـــورَ العَـــزْمُ فـــي أَوَدِي لَـــنْ يَمُـــوتَ النُّـــورُ فـــي قُطُـــبِي

أَنـــا إِنْ مِـــتُّ فَـــلا شَـــرَفٌ فـــي مَراقِـــي العِـــزِّ والرُّتَـــبِ

فـــاعْزِفِي فـــي القُـــرْبِ أُغْنِيَـــتِي واحْـــذَرِي يـــا أُمَّـــةَ العَـــرَبِ

الفَهْرَس

القَصِيدَة	رَقْم الصَّفْحَة
وأَنْشَــبَ الشَّـيْب	7
زَهْرَةٌ مَطْعُونَة	9
نَارُ مَوَاجِعِي	11
للقَلْبِ اِنْتِمَاء	13
أُمِّي أَغْلى النِّسَاء	15
في جُعْبَةِ الأيَّام	17
في مَتاهاتِ الحُرُوب	19
رَأَيْـتُ في حُلْمِي	20
جَذْوَةُ آلام	22
عَباءَةُ الأَحْزَان	23
دَمْعِي قَصِيدَة	25

سِرُّ الهَنَاء	28
وَخْزُ الخِذْلان	30
كَيْفَ السَّبيل؟	32
مَاذَا أُبرّر؟	34
وسَلَكْتُ دَرْبًا آخَر	35
وَدَاع	36
قَدْ أُعْذِرَ المَوْجُوع	37
حَبِيسُ القُيُود	38
السَّيْفُ خَيْرُ حَليف	39
جُرْحٌ ما لَهُ مَرْسى	41
بَيْنَ الأَسِنَّة	43
فَوْقَ الهُمُومِ هُمُومُ	44
ويَوْمُ الثَّلْج	45
قِصَّةٌ وقَصِيدَة – صَدقتُكَ في رَمَضان	46

قِصَّةٌ وقَصِيدَة – كلُّ البُكَاء	49
في لَيَالِي الشَّوْق	51
هَكَذا الدُّنْيا	53
هِيَ الذِّكْرى	55
تَعَبُ الشَّوَارِع	58
سَأَقُول	59
كانَ حُلْمِي	62
التَّفرَّقُ أَصْلُ كُلِّ رَزِيَّة	63
كانَتْ وَلِيَّةَ أَمْرِها	65
وُجُوم	66
في لَحْظَة	67
آخِرُ الدَّرْب	69
لُغَةُ العُيُون	70
دَرْبُ الغُرُوب	71

جِئْتُ إلَيْه أَشْكُو	72
مِنْحَةُ خالِق	74
فإِنْ لم تَظْمَأوا يَوْمًا	76
مَتَى يَجْلو ظَلامُ اللَّيْل؟	77
اسْأَلُوا التَّاريخَ والأُمَمَا	78
حُجَّةُ خانِع	79
أَتُوقُ	80
أَوْجَزْتَ يا عُمَرُ	81
مِصْرُ مَعْزُوفَةُ التَّارِيخ	82